كاريكاتور ناجي العلي

(كتاب السفير ، بيروت ، آذار ١٩٧٦)

الفصول العشرة في كتاب « كاريكاتور ناجي العلي » ، تحمل في عناوينها صيغة النداء ، لكنها في جوهرها ، خطوطها وكلماتها ، تحمل حدة السكين ، وبهجة البسمة ، وحرقة الحزن ·

والرحلة في داخل الكتاب تأخذ شكل الدائرة ، نقطة البدء فيها فلسطين ، ونقطة النهاية هي فلسطين · وتظل فلسطين ، ارضا وقضية ، هما يحمله الفنان ويلازمه في رحلته ، ويتغلغل في مسامات رؤيته لقضايا العالم كله، الاجتماعية والسياسية·

ينأى ناجي العلي في كاريكاتيره عن تضخيم الاشياء الموصل الى الاضحاك ، فان كانت الكثير من رسوماته تنتزع منك الضحكة ، فان الكثير منها ايضا يعكس حزنا جمعيا ينبع من واقع موضوعي وظروف تاريخية محددة ·· يجمع هذا الحزن بصعوبة وباحساس عميق ومعاناة ، ثم يعيد اختزاله بيسر وسهولة عبر خطوط واشكال ·

وعندما يجتمع الحزن مع البسمة داخل عمل واحد ، صورة واحدة ، تظهر بدقة قدرة الفنان على الامساك بالقطبين الموجب والسالب، وفي لقاء القطبين يحدث التفجير الذي اراده الفنان ان يكون تحريضا علنيا ضد الاعداء الصهاينة والامبرياليين والانظمة الرجعية والبورجوازيات العربية المستسلمة والطبقات المستغلة والقوى الانعزالية ·

نظرة الفنان الثاقبة تتقمص شخصية طفل نراه في اكثر المواقع مراقبا ، يمنحنا ظهره الذي يبسط في نهايته ساعدين مسترخيين، كأنما الدهشة غائبة عن ملامح الوجه الطفل الذي غالبا ما لا نراه ·

طفل ناجي الذي يبدو لوهلة محايدا ، هو على النقيض من ذلك ـ تماما كما الفنان ذاته ـ ، فهو عين الفنان ورؤيته الثاقبة ، وهو ، اضافة الى ذلك ، يمثل الحس الشعبي العام الذي استطاع الفنان ،ن يلتقطه بقدرة فائقة ليختزله بالخطوط والكلمات المقتضبة ، فيحوله الى وعي يتوجه به الى جماهير الشعب ذاتها التي يعبر عنها وعن همومها ·

ظاهريا ، لا يبدو الطفل كقوة ايجابية ماعلة في الغالب ، اذا ما قفزنا عن فعله الدائم في التعرية، تلك التي تظهر اكتشافه لموقع الجرح من خلال انتقائه عنوان صحيفة ، او من خلال نظرة لفعل امامه من المفترض موضوعيا ان يثير الدهشة . فلا يدهشه · لكن هذا الطفل ، عندما يفعل، فانه يتفجر كالقذيفة ، ينتقم بلا رأفة من اعدائه ، يشتم بلا خجل ، يحاور من موقع الاقوى ، ويستعيد صوت الشاعر الشعبي ليلعب دور المعبىء والمحرض ·

واذا كان الطفل هنا يمثل الحس الشعبي العام ، فان ذلك لا ينفي ان للطفل ذاته خصوصية فلسطينية مميزة ، تماما ، كما الفنان ناجي العلي ذاته ، يظل ممثلا للحس الشعبي العام دون ان يجهز ذلك على خصوصيته الفلسطينية او ينقص منها ·